

أضواء البيان

@ 155 ابن مَرْيَمَ وَأُمِّهٖ وَمَنْ فِي الْأَشْجَارِ جَمِيعاً { ، وقوله تعالى : { وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ } إلى غير ذلك من الآيات . قوله تعالى : { أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِّنْ دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ وَلَا هُمْ مِّنْ دُونِنَا يَصْحَبُونَ } . قوله في هذه الآية الكريمة { أَمْ } هي المنقطعة ، وهي بمعنى بل والهمزة ، فقد اشتملت على معنى الإضراب والإنكار ، والمعنى : ألهم لآلهة تجعلهم في منعة وعزٍّ حتى لا ينالهم عذابنا . ثم بين أن الهتهم التي يزعمون لا تستطيع نفع أنفسهم ، فكيف تنفع غيرها بقوله : { لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ } . وقوله { مِّنْ دُونِنَا } فيه وجهان : أحدهما أنه متعلق . { آلِهَةٌ } أي ألهم آلهة { مِّنْ دُونِنَا } أي سوانا { تَمْنَعُهُمْ } { مما نريد أن نفعله بهم من العذابا كلا ليس الأمر كذلك . الوجه الثاني أنه متعلق . { تَمْنَعُهُمْ } لقول العرب : منعت دونه ، أي كفت أذاه . والأظهر عند الأول . ونحوه كثير في القرآن كقوله : { وَمَنْ يَقْلُ مِّنْهُمْ إِلَّا نَزَّيْ إِلَاهُ مِّنْ دُونِهِ } وقوله : { وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً } ، إلى غير ذلك من الآيات .

وما تضمنته هذه الآية الكريمة : من كون الآلهة التي اتخذوها لا تستطيع نصر أنفسهم فكيف تنفع غيرها جاء مبيناً في غير هذا الموضع ؟ كقوله تعالى : { أَيْشُرُّكُمْ مَّا لَا يَخْلُقُ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرٌ وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ } وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَدْعَوْهُمْ تُدْعَوْنَ أَمْ أَلَّيْتُمْ مَّا مَتُّونَ إِنَّ السَّادِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ عِبَادُ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ أَللَّهُمْ أَرْجُلُ يَمْشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَآ قُلْ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنْظِرُونِ { ، وقوله تعالى : { وَالسَّادِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ } وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يُنْظَرُونَ إِلَّا لَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ } ، وقوله تعالى : { ذَلِكَُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالسَّادِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَّا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ } {

، وقوله تعالى : { وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَّا يَوْمَ الْقِيَامَةِ } وَهُمْ عَنِ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ { ،
إلى غير ذلك من الآيات الدالة على أن تلك الآلهة المعبودة من دون الله ليس فيها نفع البتة .